(٣) اسرائيليات

« حرب اليهود ضد اليهود » !

الاستنتاج الاول والاهم الذي يستخلصه ويتوصل اليه المتابع للتطورات داخل اسرائيل من خلال صحفها ، هو ان من الصعب جدا — بل يكاد يكون من المستحيل — على الاسرائيليين ، الصمود تحت ثقل نتائج حرب ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ، ما لم تشهد مراكز السلطة هناك ، من سياسية وعسكرية ، اهتزازات وانفجارات عنيفة ، تطيح بعدد كبير من المسؤولين ، وتصل الى السلطة بقيادات جديدة ، وتخلق توازنات جديدة ، ويسود وضع تصبح فيه اسرائيل ما بعد حرب اكتوبر ، شيئا آخر مختلفا تماما عما كانت عليه قبلها .

ذلك ان « حرب اليهود ضد اليهود » ، كما يسميها عيزر وايزمان وغيره من الاسرائيليين — عنيفة وقاسية وشاملة ، لم تشهد اسرائيل مثيلا لها من قبل ، سواء في شمولها وعدد المشاركين فيها ، او في نوعيتها والقضايا التي تدور حولها الاختلافات والخلافات ، الى درجة انها اصبحت أشبه بالمعركة يحارب الجميع فيها الجميع ، فالخلافات وتبادل التهم تدور بين اعضاء الحزب الواحد ، وبين الاحزاب ، وبين الكتل السياسية ، بين الوزراء أنفسهم ، وبين القادة العسكريين ، بين الصحف والصحافيين ، وبين جميع هؤلاء من جهة والحكومة من الجهة الثانية ، وكل ذلك حول مسلمات ما كان احد يجرؤ على الاقتراب منها من قبل ، و « مقدسات » ما كان أحد من قبل يجرؤ على التشكك فيها .

ولعل أحرف واسماء الاستفهام ، هي الاكثر ترددا في الصحف الاسرائيلية لما بعد يوم ٢٢ اكتوبر — يوم اتخاذ مجلس الامن للقرار رقم ٣٣٨ بخصوص وقف القتال ، وقبول اسرائيل له — ، بدءا من ماذا ولماذا ومرورا بكيف ومتى ، وانتهاء بأين والى أين ...

يقول المعلق والمراسل العسكري الاسرائيلي المعروف زئيف شيف : « ان السؤال الاول يتعلق بتجنيد رجال الاحتياط . والسؤال هو : ماذا حدث في المرحلة الثانية يوم السبت ٦ اكتوبر عندما كان واضحا اننا نسير نحو الحرب ؟ وحين كان بالامكان القيام بتجنيد فوري وشامل لقوات الاحتياط ؟... يبدو انهم (أي رجال السلطة) اعتمدوا مرة اخرى على التقييم القديم القائل بأن في وسعنا القضاء على العرب بضربة هنا وضربة هناك » .

« ... والسؤال المطروح : كيف تم تنفيذ الاستنفار ؟ وكيف جرى تجنيد الاحتياط وزجه في المعركة ؟ وكيف كانت حالة الدفاع في المواقع ؟.. ينبغي ان يجري التحقيق في كل وحدة ووحدة حول كيفية تجنيدها وتجهيزها ، وكم من الوقت مر حتى وصلت الى ساحة القتال » .

ثم ... « كيف أعد الدفاع عن موقع جبل الشيخ ؟ من وكم عدد الافراد الذين مكثوا في هذا الموقع خلال فترة الاستنفار ؟ وفوق كل ذلك : ما هو الوضع الفعلي لحالة الاستنفار ووضع القوات على امتداد الخط الشمالي ؟ » (هآرتس ١٩٧٣/١٠/٢٨) .

ولم يكن هذا الحشد من الاسئلة في موضوع عنوانه علامة استفهام ، بل على العكس ، جاء ذلك في حلقة من سلسلة مقالات بعنوان : «الحرب: دروس اولية»... فهل يعني ذلك ان الاسرائيليين لم يستخلصوا بعد دروسا من الحرب ، وانهم ما زالوا ضمن دائرة الاسئلة ؟ .

اذا كان ذلك يصح بالنسبة الى عدد وافر منهم، فانه لا يصح بالنسبة لآخرين ، بدأوا منذ الايام الاولى لانتهاء القتال يستخلصون العبر ويدعون الى محاسبة المسؤولين على الاخطاء وعن التخاذلات .

وقبل البدء بعرض هذه العبر والدروس ، لا بد من الاشارة الى ان العديد من المعلقين والمسؤولين الاسرائيليين ، يرون ان الوقت لم يحن بعد للمحاسبة ، ونشر الحقائق ، لان في ذلك اشعالا لنار تحرق الجميع «... ويجب ان يكون واضحا لنا جميعا ، انه لم يحن بعد وقت بدء الجدل الداخلي حول ذلك (مجموع الاخطاء التي ارتكبت قبل واثناء وبعد الحرب) ... ذلك لان كمية كبيرة من المواد المتفجرة تكمن في هذا الجدل